الأهرام

المصدر: اكتوبر

التاريخ : ٢٩ اكتوبر ٢٠٠٥

الهدف عزل سوريا.. وتطويقها

إميل لحود — بشار الأسد

أحمد جبريل — فؤاد السنيورة

أين الحقيقة فى اغتيال رفيق الحريرى رئيس وزراء لبنان الأسبق؟
من هى الجهة التى تقف خلف عملية اغتياله، ومن المستفيد خلف الضباب الكثيف الذى أحاط بالعملية، وكيف تمت العملية؟ أسئلة عديدة ومتشابكة ومعقدة انتظرنا أن يفك ألغازها وغموضها تقرير المحقق الألمانى ديتليف ميليس الذى ظل ستة شهور يجمع معلومات، والتقى خلالها بـ 500 شاهد، واطلع على 4 آلاف وثيقة وزار 30 مدينة وقرية سورية

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

ولبنانية، لكن- للأسف- جاء التقرير أشبه بتحليل سياسى، ملىء بالعبارات الناقصة على طريقة (لا تقربوا الصلاة) أو حذف أسماء فى اللحظات الأخيرة، أو تقديم نسختين من التقرير، واحدة للأمم المتحدة والأخرى للصحافة، فضلاً عن أن التقرير لم يذكر حرفا واحدا

عن إسرائيل مع أنها- وهذا واضح للعيان- هى المستفيد الأول من دم الحريرى، كما أنها أول دولة فى العالم أعلنت ترحيبها بما جاء فى التقرير، و هى التى لا تزال تحتل أرضا لبنانية وسورية فضلاً عن أرض فلسطين، ولها فى داخل لبنان شبكات تجسس وتخريب أكثر من أن تحصى.

ولعل القراءة الموضوعية، والمتأنية لما ورد في تقرير ميليس (100 صفحة) توضح الأبعاد الخفية وراء النصوص، وتكشف الأبعاد الحقيقية للقرار 1559 الذى تم فرضه على سوريا وتم تنفيذه كاملاً تحت ضغط دولى بينما القرار 242 الصادر عام 1967 لم ينفذ حتى الآن لأنه يمس إسرائيل، فالهدف هو عزل سوريا أو بمعنى أدق محاصرتها داخل حدودها الإقليمية الضيقة، وبحيث لا تلعب أى دور إقليمى ولا تدعم المقاومة، بل أن تساهم فى نزع سلاح حزب الله والسلاح الفلسطينى فى المخيمات اللبنانية، والضغط على منظمات الكفاح المسلح الفلسطينى لكى لا تهدد الكيان الإسرائيلى، وأن يقبل الجميع- وبدون شروط ولا أوراق ضغط- ما تمليه الإدارة الأمريكية وفق رؤيتها للسلام فى المنطقة أو ما تسميه الشرق أوسط الكبير.

وبعيدا عن الرؤية الاستراتيجية لما ورد فى تقرير ميليس، نتوقف عند بعض الملاحظات الجوهرية التى نعتقد أنها مست حيادية ونزاهة اللجنة الدولية المعنية بالتحقيق فى قضية اغتيال الحريرى، ودفعت أطرافا عربية ودولية إلى وصفها بالانحياز أو عدم الالتزام بالمهنية والحرفية والنزوع تجاه (تسييس التقرير) هذه الملاحظات هى:

ربما هى المرة الأولى فى التاريخ التى توجه فيها أصابع الاتهام إلى أشخاص وهيئات ومنظمات فى ثلاث دول (دفعة واحدة) فقد ورد فى تقرير ميليس اتهامات إلى أشخاص فى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين- القيادة العامة- بزعامة أحمد جبريل بأنهم ساهموا فى عملية الاغتيال، لكنه لم يذكر أسماء المتهمين فى الجبهة الشعبية ولا الدور الذى قاموا به، ثم أضاف اسم محمود عبد العال زعيم جمعية الأحباش الخيرية ونسب إليه أنه أجرى اتصالا بالهاتف الجوال (المحمول) للرئيس أميل لحود، ولم يذكر التقرير إذا كان الرئيس رد أم لا وماذا دار فى المكالمة، وأخيراً أضاف التقرير اتهامات غير محدودة إلى مسئولين سوريين، وهكذا فهل من المنطقى أن يشارك كل هؤلاء فى اغتيال رجل واحد، وهل يمكن أن تجتمع كل القبائل السياسية من أقصى اليسار (الجبهة الشعبية) إلى أقصى اليمين (جمعية الأحباش) فى مهمة واحدة؟ ثم لماذا يجتمع كل هؤلاء على رغبة واحدة هى التخلص من رفيق الحريرى؟!

لقد أبدى أحمد جبريل رئيس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين دهشته من دس اسم المنظمة فى التقرير، وتساءل: من هم الأشخاص الذين يقصدهم التقرير، لماذا لم يذكر أسماءهم، لماذا لم يطلب سماع أقوالهم، وما هى التهمة الموجهة إليهم؟

أما رئيس جمعية الأحباش، وهى جمعية خيرية فربما يكون اتصل بالهاتف الجوال للرئيس اللبنانى أميل لحود ليطلب دعما لجمعيته أو يطلب حلا لمشكلة تواجهها، إذ لم يذكر فى التقرير أى عبارة وردت فى الاتصال الهاتفى، الأمر الذى دفع الرئاسة اللبنانية إلى التأكيد بأن هناك ستة أرقام لهواتف محمولة تخص الرئاسة ويعرفها الكافة فى لبنان، ويتصلون خلالها بمكتب الرئيس وليس بالرئيس مباشرة.

ويعرف اللبنانيون جيدا أن جمعية الأحباش لا تتعاطى العمل السياسى، وهى قصرت نشاطها منذ أسسها الشيخ عبد الله الحبشى فى منتصف السبعينيات على العمل الخيرى والاجتماعى

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

والدعوى من دون أن تقحم نفسها فى العمل السياسى أو العسكرى رغم صخب وتنوع المتعاطين للسياسة فى الساحة اللبنانية. أما القيادات الأمنية السورية فقد استنكرت معظم ما ورد فى التقرير لأنه استند إلى شهادة شاهد زور هو العقيد متقاعد محمد زهير الصديق، وهو مدير مكتب اللواء حسن خليل رئيس الاستخبارات العسكرية السابق، وقد أقيل (الصديق) من عمله بعد اتهامه بالنصب والاحتيال واستغلال النفوذ. ورغم أن ميليس صرح قبل تسليم التقرير بأنه يشك فى شهادة الصديق إلا أنه اعتمد على كثير من أقواله فى توجيه اتهامات إلى قيادات أمنية سورية. وقد التقيت فى دمشق مؤخراً مع الرئيس بشار الأسد ضمن وفد من المفكرين السياسيين والصحفيين شاركوا فى ندوة بعنوان (سوريا فى عالم متغير) وأكد الرئيس أنه يخشى من قيام جهات التحقيق بدس شهود زور أو تلفيق أدلة اتهام تدين سوريا رغم أنه- أى الرئيس- واثق تماما من أن بلاده بريئة مائة فى المائة من دم الحريرى، وقال إن أى سورى سيكون قد شارك بطريقة أو أخرى فى اغتيال الحريرى يعتبر خائنا يستحق العقاب، وهى تصريحات سبق أن أعلنها فى حواره مع محطة CNN الأمريكية، أى أمام العالم كله.

لقد ذكر التقرير اتهامات إلى شخصية لبنانية رفيعة المستوى أو رئاسية وصفها بعلامة (X) لعبت دوراً تحريضياً فى اغتيال الحريرى، ومعروف أن فى لبنان ثلاث رئاسات، أولها أميل لحود وهو محل اشتباه كما جاء فى التقرير، ثم فؤاد السنيورة رئيس الوزراء وقد تولى المنصب مؤخراً ومن ثم هو خارج دائرة الاشتباه، ويبقى الرئيس الثالث فهو السيد نبيه برى

رئيس البرلمان وزعيم حركة أمل الشيعية، ولعل الزج بهذه الشخصية الرفيعة فى التقرير يخلق أجواء مشحونة بالتوتر الطائفى باعتبار أن القتيل (الحريرى) سنى، والمحرض شيعى، والمشاركون من كل صنف ولون، ثمة مارونيون، وسوريون، وفلسطينيون، و هذه الدائرة الواسعة حوّلت التحقيق إلى تظاهرة سياسية، إذ ليس منطقيا بأى حال أن يشارك كل هؤلاء فى قتل رجل واحد حتى وإن افترضنا- جدلاً- بأن هناك مصلحة مشتركة فى التخلص منه، فوحدة الهدف لا تفترض بالضرورة وحدة المشاركين فى الوصول إليه أو تنفيذه. لذلك بادر مكتب نبيه برى ومقربون منه إلى رفض أى تلميحات تربط شخصية (X) بالسيد نبيه برى.

لقد اتهم التقرير سوريا بعدم التعاون الكامل مع لجنة التحقيق، ولعل السؤال هنا هو: لماذا لم يشتك ميليس من قبل بعدم تعاون الجهات السورية؟ والثابت أن لجنة ميليس طلبت مقابلة عدد من المسئولين السوريين عند نقطة على الحدود السورية- اللبنانية تقع تحت إشراف الأمم المتحدة، واستجاب السوريون وتمت اللقاءات، أما مستوى التعاون وحدوده فهى ليست ملك المحقق وحده، بل ملك للطرفين معا، وإذا كان السوريون لم يشتكوا من أسئلة لجنة التحقيق رغم ما تحمله من اتهامات بغير دليل، فلماذا يشتكى ميليس فى التقرير، وكانت أمامه الفرصة لكى يعلن ذلك قبل صدور التقرير بأسابيع؟ ثم إن التقرير ذكر عبارة لها طابع سياسى وهى أقرب إلى التكهن أو الاستنتاج، لا يليق بتقرير قضائى محايد أن يستند إليها وهى عبارة (إن هذه الجريمة ما كان يمكن أن تتم إلا بمعرفة القيادات الأمنية السورية واللبنانية) وقد وردت هذه العبارة على لسان معظم قادة المعارضة اللبنانية بعد ساعات من اغتيال الحريرى، وهذا ما يؤكد أن لجنة ميليس تأثرت بأفكار ومقولات المعارضة اللبنانية ولم تكن موضوعية تماما أو حسنة النية، وهى أشبه بمن يتهم الحكومة بالمشاركة فى قتل رجل لأنها لم توفر الإضاءة الكافية فى الشوارع، ما مكّن القاتل الحقيقى من تنفيذ الجريمة، ومثل هذه العبارات المطلقة أو العامة لا تفيد التحقيق بل تشتته وتضلله، وتضع الناقوس فى غير مكانه.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

وأخيراً وبعد هذه الملاحظات، ثمة سؤال مركب هو: لماذا هذه الحماسة الأمريكية الأوروبية لفتح التحقيق فى ملف اغتيال الحريرى رغم أن هناك شخصيات كبرى تعرضت للاغتيال المباشر أو غير المباشر، من بينهم الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات الذى أكد طبيبه الخاص أنه تم اغتياله بالسم الذى دسته إسرائيل فى طعامه أو مياه الشرب، وطلب العقيد القذافى فتح ملف اغتيال عرفات لكن العقل السياسى الغربى (الأمريكى- الأوروبى) لم يهتم ولن يهتم، وهناك الزعيم الدرزى كمال جنبلاط، والزعيم المارونى رينيه معوض، وزعيم الكتائب بشير الجميل، وقبلهم القيادى الناصرى معروف سعد الذى اغتيل فى صيدا عام 1975 فاندلعت الحرب اللبنانية لمدة 14 سنة بسبب هذا الاغتيال الذى لم يعرف حتى اليوم من الذى نفذه.

الجزء الثانى من السؤال هو: لماذا طلب الرئيس الأمريكى بوش فى نفس ليلة تسليم التقرير للأمم المتحدة بعقد جلسة طارئة لمجلس الأمن، وقام بإجراء اتصال مع جون بولتون مندوب أمريكا فى الأمم المتحدة لكى يطلب من كوفى عنان عقد هذه الجلسة العاجلة، بينما لم يتحرك الرئيس الأمريكى لإنقاذ الفلسطينيين من عمليات الإبادة الجماعية التى يمارسها جيش الاحتلال الإسرائيلى يوميا فى غزة والضفة والقدس؟

واقع الحال أن الإدارة الأمريكية وحليفتها القديمة المتجددة بريطانيا ثم فرنسا التقت مصالحهم ضد سوريا، فالهدف هو الضغط على المقاومة العربية سواء حزب الله فى لبنان أو فصائل المقاومة فى العراق أو الفصائل الفلسطينية، بدليل أن تصريحات بوش ورايس كلها تستخدم وتوظف قضية الحريرى، لأغراض أو أجندة سياسية مختلفة تماما، فأمريكا تتهم سوريا بدم الحريرى ثم تطلب أن تمنع سوريا المتسللين أو المقاومة من دخول العراق عبر أراضيها، فما هى علاقة المقاومة العراقية بدم رئيس وزراء لبنان الراحل؟!

الشاهد أن قضية الحريرى تحولت إلى قميص عثمان، البعض يرتديه لتحقيق أهداف مرسومة لعل أهمها هو إنقاذ الجيش الأمريكى فى المستنقع العراقى، ومحاولة إيجاد مبررات لاستمرار الوجود الأمريكى فى المنطقة. وحماية منابع النفط، وتأمين إسرائيل، وشن حرب على المقاومة بدعوى أنها منظمات إرهابية، وكأن تلك الأجندة (الإسرائيلية) هى فاتورة على سوريا يجب عليها أن تدفعها لكى تسكت أمريكا مؤقتا، ولو دفعت سوريا فسوف يطلب منها أن تدفع أكثر، فالغرض ليس تغيير النظام فى دمشق وإنما تطويعه أو (.. ..).

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية